

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مُقَدِّمَةٌ

### مقامات الحريري

١ - لم يبلغ كتاب من كتب الأدب ما بلغته هذه المقامات - التي أبداع إنشائها الأستاذ الرئيس أبو محمد القاسم بن علي الحريري - من نباهة الذكر ، وبعد الصيت ، واستطارة الشهرة . فإنه لم تكد تصدر منها التسعة الأولى في بغداد حتى أقبل الوراقون على كتابتها ، والعلماء على قراءتها عليه من شتى الجهات ؛ ذكروا أن الحريري وقع بخطه في شهر سنة أربع عشرة وخمسمائة على سبعمائة نسخة<sup>(١)</sup> ؛ كما أن العلماء في جميع الأقطار العربية أخذوا يتدارسونها في المدارس والمعاهد ، ويقرونها في الأندية والمحافل ، بل إن شهرتها امتدت في حياته إلى الأندلس ، فوفد فريق من علمائها على الحريري ببغداد - منهم الحسن بن علي البطليوسى ، والحجاج بن يوسف القضاعى ، وأبو القاسم عيسى ابن جهور - وقرءوا عليه بمنزله هذه المقامات ، ثم عادوا إلى بلادهم حيث تلقاها عنهم العلماء والأدباء ، وتناولوها رواية وحفظاً ، ومدارسة وشرحاً . .

ولمؤرخى الآداب العربية أقوال مختلفة في سبب إنشائها . .

نقل ياقوت من عبد الله بن محمد بن محمد بن أحمد النعمان البزاز ببغداد ، قال : سمعت الرئيس أبا محمد القاسم بن علي الحريري صاحب المقامات . يقول : أبوزيد

السُّرُوجِيّ ، كان شيخاً شحاذاً بليفاً ، ومكدياً فصيحاً ، ورد علينا البصرة ، فوقف يوماً في مسجد بني حرام ، فسلم ثم سأل الناس — وكان بعض الولاة حاضراً ، والمسجد غاص بالفضلاء — فأعجبهم فصاحته ، وحسن صياغة كلامه وملاحظته ، ثم ذكر أسر الروم ولده . . واجتمع عندي عشية ذلك اليوم جماعة من فضلاء البصرة وعلمائها ، فحكيت لهم ما شاهدت من ذلك السائل ، وما سمعت من لطافة عبارته وتحقيق مراده ، وظرافة إشارته في تسهيل إيراده ؛ فحكى كل واحد من جلسائه أنه شاهد من هذا السائل ومجلسه مثل ما شاهدت ، وأنه سمع منه في معنى آخر فصلاً أحسن مما سمعت ، وكان يغير في كل مسجد زِيَّةً وشكله ، ويظهر في فنون الحيل فضله ، فتمعجوا من جريانه في ميدانه ، وتصرفه في تلون إحسانه . فأنشأت المقامة الحرامية ، ثم بنيت عليها سائر المقامات ، وكان أول شيء صنعته . وذكر ابن الجوزي هذه الحكاية في تاريخه ، وزاد فيها أن الحريري عرض هذه المقامة الحرامية على أنوشروان بن خالد وزير السلطان ، فاستحسنها ، وأمره أن يضيف إليها ما شاكلها ، فأتتها خمسين مقامة<sup>(١)</sup> .

وفي رواية لابن خلكان ، قال : لما عمل الحريريّ المقامات أنشأها على أربعين مقامة ، وحملها من البصرة إلى بغداد ، وادعاه ، فلم يصدق ذلك جماعة من أدباء بغداد ، وقالوا : إنها ليست من تصنيفه ، بل هي لرجل مغربيّ من أهل البلاغة مات بالبصرة ، ووقعت أوراقه إليه ، فادعاه . فاستدعاه الوزير إلى الديوان وسأله عن صناعته ، فقال : أنا رجل منشيء ، فاقترح عليه إنشاء رسالة في واقعة بعينها ، فانفرد في ناحية من الديوان ، وأخذ الدواة والورقة ، ومكث زماناً كثيراً ، فلم يفتح الله عليه بشيء من ذلك ، فقام وهو خجلان ، وكان في جملة

(١) مجمع الأدباء ١٦ : ٢٦٣ .

من أنكر دعواه في عملها أبو القاسم علي بن أفلح الشاعر ، فلما لم يعمل الحريري  
الرسالة التي اقترحها الوزير أنشأ ابن مفلح :

شَيْخٌ لَنَا مِنْ رِبِيعَةِ الْفَرَسِ يَنْتَفُ عُنُونَهُ مِنَ الْهُوسِ  
أَنْطَقَهُ اللَّهُ بِالْمَشَانِ كَمَا رَمَاهُ وَسَطَ الدِّيْوَانِ بِالْخُرْسِ

وكان الحريري يزعم أنه من ربيعة الفرس ، وكان مولعاً بنتف لحيته عند  
الفكرة ، وكان يسكن مشارف البصرة ، فلما رجع إلى بلده عمل عشر مقامات  
آخر ، وسيرهن إليه ، واعتذر من عييه وحصره في الديوان لما لحقه من المهابة (١) .

وقال ابن خلكان أيضاً : رأيت في شهور سنة ست وخمسين وخمسمائة  
بالتاهرة المحروسة نسخة مقامات ، وجميعها بخط مصنفها الحريري ، وقد كتب  
أيضا بخطه على ظهرها أنه صنفها للوزير جمال الدين عميد الدولة أبي علي الحسن  
ابن أبي العز علي بن صدقة وزير المسترشد ... قال : ولا شك أن هذه الرواية أصح  
لكونها بخط المصنف (٢) .

٢- وقد نسب الحريري رواية هذه المقامات إلى الحارث بن همام ، وعنى  
بهذا الاسم نفسه ، ونظر في ذلك إلى قوله صلى الله عليه وسلم : « كلكم حارث  
وكلكم همام » ، فالحارث الكاسب ، والهمام كثير الاهتمام بأموره ، وما من  
شخص إلا وهو حارث وهمام .

وجعل بطل هذه المقامات أبا زيد السروجي ؛ وتختلف الروايات أيضا في  
حقيقة أمره ، فمن قائل : إنه اسم خيالي وضعه الحريري واستوحاه من صورة  
الشحاذ الذي لقيه في مسجد بني حرام بالبصرة . ومن قائل بأنه كنية اسم حقيقي

(١) ابن خلكان ١ : ٤٢٠ . (٢) ابن خلكان ١ : ٤٢٠ .

لرجل اسمه المطهر بن سلام ، ذكره القفطى فى إنباه الرواة ضمن تراجم النحاة ، وقال فى حقه : صاحب أبى محمد القاسم بن على الحريرى البصرى ، أنشأ المقامات على لسانه ، وكان فيه فضل وأدب ، وله معرفة بالنحو واللغة والعربية ، قرأ على أبى محمد الحريرى بالبصرة ، وتخرج به ، وروى عنه (١) .

وأباً كان الخلاف حول سبب إنشاء هذه المقامات وبطلها أبى زيد ، فإن هذه المقامات عمل فنى رائع منقطع القرن ، حوى من متخير الألفاظ ومنتخبات الأساليب وناصع البيان ، مع إحكام السبك وإشراق الديباجة والبعده عن الركافة والابتذال - ماجعلها قمة فى الآداب العربية ترتفع عن مقام المتحدى والمعارض على السواء . وقد صاغها مجالس متنوعة تختلف موضوعاتها باختلاف البلاد التى تخيل أنه زارها ، ورحل إليها ، ما بين فرغانة وغانة ، وأفرغها فى قوالب طريفة فى الأدب والنقد والوعظ والفكاهة ، يتخللها وصف للمجتمع وأحوال الناس ، وجمالها فى أسلوب السجع الكامل ، بعد أن وشاها بألوان البديع ، من الجناس والطباق والمقابلة ، أو كما يقول المؤلف فى صدر كتابه : أنشأت على ما أعانيه من قريحة جامدة ، وفطنة خامدة - خمسين مقامة تحوى على جد القول وهزله ، ورقيق اللفظ وجزله ، وغرر البيان ودرره ، وملح الأدب ونوادره ، إلى ما وشحتها به من الآيات ، ومحاسن الكنايات ، ورصمته فيها من الأمثال العربية ، واللطائف الأدبية ، والأحاجى النحوية ، والتناوى اللغوية ، والرسائل المتكررة ، والخطب الخبيرة ، والمواعظ المبكية ، والأصاحيك الملهية .

وكان أول لقاء وقع بين الحارث بن همام وأبى زيد السروجى فى صنعاء ، وكانا فى رواء الشباب وربيع العمر ، حيث لقي الحارث أبازيد خطيباً واعظاً ، ثم عرفه بعد ذلك مخادعا مخاتلاً ، وعليه بنى الحريرى المقامة الأولى وأسمائها المقامة الصنمائية . ثم

(١) إنباه الرواة ٣ : ٢٧٦

أخذ الحارث يقطع الأسفار ، ويجوب الفيافي والقفار ؛ ليلقى أبا زيد ؛ مرة في  
ساحة القضاء ، وأخرى في مجالس الولاية ، وآونة في أندية الأدباء ؛ واعظا أو  
شاعرا ، أو شحاذا أو مخاصما ؛ ثم يمضى بهما العمر وتتابع الأيام ؛ إلى أن يلتقيا في  
أخريات عمرهما بالمسجد الجامع بالبصرة بعد أن خلقت جدتهما ، وذوى عودهما ، ورث  
برؤد شبابهما ؛ وإذا أبو زيد يقف في حشد الناس ؛ يعلن توبته ، ويندم على ما قدم  
من ذنوب وآثام ، وينشد :

أستغفر الله من ذنوب أفرطت فيهن واعتديتُ  
كم خضت بحر الضلال جهلا ورحت في الغي واعتديتُ  
وكم تناهيت في التخطي إلى الخطايا وما انتهيت  
فليتني كنت قبل هذا نسيا ولم أجن ما جنيتُ  
يارب عفوا ، فأنت أهل للعفو عني ، وإن عصيت

ثم يختفي أبو زيد ويعود إلى بلده سروج ، يلبس الصوف ، ويؤم الصوف ،  
ويجنح الحارث بعدها إلى الراحة ويكف عن الأسفار ؛ ويكون هذا آخر لقاء بينهما ،  
وبه تنهى المقامة الخمسون ، آخر المقامات .

٣- ولم يكن الحريري مبتدع فن المقامات ولا أبا عذرها ، بل سبقه إلى هذا  
الفن بديع الزمان الهمداني ، وإلى ذلك يشير بقوله في صدر المقامات بتحدث عن  
سبقه : هذا مع اعترافي بأن البديع رحمه الله سبق غايات ، وصاحب آيات ،  
وأن المتصدى بعده لإنشاء مقامة ، ولو أوتى بلاغة قدامة ، لا يفترق إلا من  
فضالته ، ولا يسرى هذا المسرى إلا بدلالته ؛ والله درّ القائل :

فلا قبل مبكها بكيت صباية

بسمدي شفيت النفس قبل التندم

ولكن بكت قبلي فبيح لي البكا بكاها فقلت الفضل للتقدم  
ومع ذلك فإن من جاء بعدهما من كتاب المقامات ؛ إنما قصد محاكاة  
الحريري والنسج على منواله ، والسير في دربه ؛ فمنهم من حاول ولم يوفق ، ومنهم  
من عمل ولكنه أخفق . . .

فممن حاول ذلك علي بن الحسن بن عنتر المعروف بالشميم الحلي ، قال ياقوت :  
وردت أميد في سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة وأناني عنفوان الشباب وربعه ؛ فبلغني  
أن بها علي بن الحسن بن عنتر المعروف بالشميم الحلي - وكان من العلم بمكان  
مكين ، واعتلق من حباله بركن ركين ؛ إلا أنه كان لا يقيم لأحد من أهل العلم  
المتقدمين ولا المتأخرين وزنا ، ولا يعتقد لأحد فضيلة ، ولا يقتر لأحد بإحسان  
في شيء من العلوم ولا حسن ، فحضرت عنده ، وسمعت من لفظه إزراره على أولى  
الفضل ، وتنديده بالعيب عليهم بالقول والفعل ؛ فلما أبرمني وأضجر ، وامتد في  
غيه وأصحر ، قلت له : أما كان فيمن تقدم على كثرتهم وشفف الناس بهم عندك  
مجيد قط ! فقال : لا أعلم إلا أن يكون ثلاثة رجال : المنجبي في مديحه خاصة ،  
ولوسلكت طريقه لما برز علي ، ولسقت فضيلته نحوى ونسبتها إلى ، والثاني  
ابن نباته في خطبه ، وإن كانت خطبي أحسن منها وأشهر ، وأظهر عند الناس  
قاطبة وأشهر . والثالث ابن الحريري في مقاماته . قلت : فما منعك أن تسلك  
طريقته ، وتشد مقامات محمد بها جمرته وتملك دولته ؟ فقال : يابني ، الرجوع  
إلى الحق خير من التمادي في الباطل ؛ ولقد أنشأتها ثلاث مرات ، ثم أتأملها  
فأستزدها ، وأعمد إلى البركة فأغسلها ؛ ثم قال : وما أظن الله خلقني إلا لإظهار  
فضل الحريري<sup>(١)</sup> !

ومنهم أبو الطاهر محمد التميمي السرقسطي الأشرار كويتي<sup>(٢)</sup> المتوفى بقرطبة سنة

(١) معجم الأدباء ١٦ : ٢٦٧ - ٢٦٩ .

(٢) منسوب إلى أشرار كوي ، من أعمال تطيلة ، من بلاد الأندلس .

٥٣٨ ، أنشأ كتاب «الخمسین مقامة الزومية»<sup>(١)</sup> عارض بها مقامات الحریری، ولزم فی نثرها ما لا یلزم ، متأثراً بالمعری فی لزومیاته، فأبعد النجعة، وأتعب خاطره، وكذب ذهنه ، وأسهر جفنه ، وصعب علی نفسه المسالك ، وقید كلامه نظماً ونثراً. واتخذ راویه المنذر بن همام، وجعل بطله السائب بن تمام ؛ ولكن هذه المقامات ذهبت بها عوادى الأيام ، فلم تصل إلینا .

ثم قام جار الله محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ أيضاً، فأنشأ مائة مقامة كالمقالة ، تدور كلها حول الوعظ ؛ ولكن ليس فیها راوی، ولا بطل ؛ بل خاطب فی جميعها نفسه ، وذكرها بالآخرة ، ورغبها فی الأعمال التي تؤدي بها إلى نعيم الله ورضوانه .. وكان الزمخشري أحسن فی هذه المقامات بقصوره عن غاية الحریری ، وبعده عن مداه ، فقال :

أقسم بالله وآياته ومشعر الحج وميقاته  
أن الحريري حري بأن نكتب بالتبر مقاماته

ثم توالى المقلدون جيلاً بعد جيل ، كابن الجوزي وأبي العلاء أحمد بن أبي بكر الرازي وابن نايقا وابن الصيقل الجزري وابن حبيب الحلبي وابن الوردی والسيوطي وغيرهم ؛ إلى أن انتهى إلى خاتمة المقلدين الشيخ ناصيف اليازجي ، أحد أعيان البيان بלבنان في القرن التاسع عشر الميلادي؛ فدرس مقامات الحريري وحفظها ، ثم أخذ يروض قلمه على مقامات تنحو نحوها ؛ وتسلك نهجها ، وما زال يلتمس الوسائل ، ويتطلب الذرائع ، ويرتاد نواحي الظفر ، ويتوخى وجوه النجح، حتى عمل أكثر من ستين مقامة سماها «مجمع البحرين» ، أمى النثر والنظم ؛ وجعل راويها سهيل بن عباد ، وبطلها ميمون بن حزام ؛

(١) فهرست ابن خبير ٣٨٧

وتنقل بسهيل بن عباد في البلدان — كما تنقل الحريري بالحارث بن همام —  
ليلقي ميمون بن حزام ، سالكا مسالك أبي زيد في المسكايد وطرق التنكير  
والتعلق بفصيح الكلام ...

وعلى الرغم من دقة المحاكاة في بعض هذه المحاولات ، فإن الحريري يبقى  
منفردا بفته ، واحداً في أسلوبه ؛ لا يدانيه أحد منهم في نثره أو نظمه ، بدّ من  
قبله ، وأتمب من بعده ، وستظلّ مقاماته من أجود ما جادت به القرائح ، وأجل  
مانضحت به الأقلام ؛ على مرّ العصور والأيام ..

٤ - وإن كان لهذه المقامات منزلة عند التدماء ، عبر عنها ياقوت بقوله :  
« واقفه من السعد مالم يوافق مثله كتاب ، جمع بين الجودة والبلاغة  
وأتسعت له الألفاظ ، حتى أخذ بأرقها وملك ربقها ، وأحسن نسقها ؛ حتى  
لو ادعى الإعجاز لما وجد من يدفع صدره ، ولا يردّ قوله ، ولا يأتي بما يقاربها ،  
فضلا عن أن يأتي بمثلها ، ثم رزقت مع ذلك من الشهرة وبعد الصيت والاتفاق  
على استحسانها من الموافق والمخالف ما استحقت به وأكثر ... » ، - فإنها  
لم تخل من نقد بعضهم وتجريحهم له ؛ منهم ابن الأثير في المثل السائر وابن الطقطقي  
في الآداب السلطانية .

ومن أشهر من نال منه أبو محمد عبدالله بن أحمد بن أحمد المعروف بابن  
الخشاب ، وضع رسالة جمع فيها المأخذ التي وقع عليها في المقامات ؛ قال في  
مقدمتها : « وله أشياء في أثناء مقاماته لورجع فيها لأقرّ مع الإنصاف بالخطأ  
ساکتاً فسلم ، أو لنازع مباحثاً . وأنا أسوقها على التوالي موضعاً فموضعاً ، مع  
تمهيد عذره ؛ لقلتها في جنب صوابه ، وما مر به من الحسن في أثناء كتابه ،  
علماً بأن الكامل من عدت سقطاته ، والفاضل من أحصيت هفواته » .

وقد قام الإمام عبدالله بن بري فألف رسالة انتصر فيها للحريري من

مأخذ ابن الخشاب ثم جاء عبد اللطيف بن يوسف البغدادي ، فنصب نفسه حكماً بينهما ، ووضع رسالة أسماها الإنصاف بين ابن برى وابن الخشاب في كلامهما على المقامات .

٥- وبجانب الحركة الفكرية والأدبية التي أحدثتها المقامات في المشرق ؛ في العراق والشام ومصر . فإن مثل هذه الحركة قامت في الغرب أيضا ؛ في أسبانيا وإنجلترا وفرنسا وألمانيا ؛ وكان أول ما عمل من ذلك ما قام به المستشرق الهولندي جوليوس سنة ١٦٥٦م ، من ترجمة المقامة الأولى إلى اللغة اللاتينية ، ونشرها في الطبعة الثانية لكتاب تعليم اللغة العربية أرينيوس في ليدن . ثم نقل المستشرق الهولندي شولتنس ست مقامات بين سنتي ١٧٣١ ، ١٧٤٠م ونقل بعده فانتوردي پارادي منتخبات من سبع عشرة مقامة بين سنتي ١٧٨٦م و ١٧٩٥ إلى اللاتينية أيضا .

وفي فرنسا قام المستشرق كوساندي برسفال بنشر المتن العربي الكامل ، وطبع سنة ١٨١٢ م كما قام الأستاذ دي سامي بجمع مخطوطات المقامات وشرحها ، وعمل منها شرحاً عربياً ، وطبع المتن والشرح في باريس سنة ١٨٢٢م ، ثم طبع مرة أخرى في باريس أيضا بين سنتي ١٨٤٧ ، ١٨٥٣م ، واشتهرت هذه الطبعة في الشرق والغرب ، وتصدى لها بالنقد الشيخ ناصيف اليازجي .

أما في ألمانيا ، فقد قام العلامة رُكْرْت ، وترجم هذه المقامات سجعاً باللغة الألمانية ، وقد اقتضى منه ذلك جهداً في استعمال كلمات نادرة الاستعمال في هذه اللغة حتى قال بعض النقاد الألمان : إن رُكْرْت أجبر لفته على الألعاب الرياضية الشاقة ؛ وقد تمتعت هذه الترجمة بشهرة عظيمة في عالم الاستشراق .

وفي اللغة الإنجليزية قام تشنري بترجمتها إلى اللغة الإنجليزية في سنة ١٨٦٧م وتبعه استيجاس فترجمها أيضا في سنة ١٨٩٨م .

وفي أسبانيا ترجم الشاعر اليهودي يوراي الحريزي هذه المقامات إلى العبرية، وطبعت هذه الترجمة في لندن سنة ١٨٧٢ م.  
وفي كثرة هذه التراجم والطبعات دلالة على ماناله الحريزي في الحلقات الاستشرافية من التقدير في نواحي الغرب<sup>(١)</sup>.

٦- وقد كانت المقامات من أوائل ما طبع من الكتب العربية؛ وأول طبعة لها كانت هي الطبعة التي ذكرت أنها كانت في باريس سنة ١٨١٩م بعناية كوسان دي برسفال، ثم توالى طبعاتها بعد ذلك في باريس ولندن وليدن وكلكتة ولكناو ودهلي بالهند وبولاق والقاهرة وتبريز وبيروت<sup>(٢)</sup>.

أما النسخ الخطية من هذه المقامات فلا تكاد تخلو مكتبة من المكتبات العربية في الشرق والغرب من عدد وافر منها متناً أو شرحاً، وفي دار الكتب المصرية من المقامات أكثر من ثمان وعشرين نسخة؛ غالبها نفيس، ومنها نسخة برقم ١٠٥- أدب منقولة من خط المؤلف بعد سماعها عليه، وفي أولها إجازة بخطه، ونسخة برقم ٤٤٧٩- أدب طلعت، وعليها خط المؤلف أيضاً، ونسخة برقم ٢٥٩- أدب، عليها سماعات مؤرخة سنة ٦٦٣، ونسخة بخط مرتضى الزبيدي كتبت سنة ١١٦٥، ونسخة برقم ١٥٢٩- أدب بخط ابن نجدة كتبت سنة ٧٢٩، هذا عدا النسخ الخطية المشروحة<sup>(٣)</sup>.

---

(١) أدت هذه المعارف الاستشرافية؛ مما كتب به إلى العلامة الدكتور أرنست بانرت أستاذ اللغات العبرية في جامعة فينا.

(٢) انظر معجم المطبوعات العربية لسركيس ٧٤٨، ٧٤٩

(٣) انظر فهرس دار الكتب.

## صاحب المقامات

١ - ومؤلف المقامات هو الرئيس أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريريّ منسوباً إلى صناعة الحرير أو بيعه ، ولد سنة ٤٤٦ هـ بالمشان ، وهي قرية قرب البصرة ، ثم رحل إلى البصرة وسكن في محلة بنى حرام - وهم قبيلة من العرب سكنوا بالبصرة - وتآدب بها ، وقرأ العربية على أبي الحسن بن فضال الجاشعيّ شيخ إمام الحرمين ، والفقّه على أبي إسحاق الشيرازي . وعُيّن صاحب الخبر بالبصرة ؛ وهو منصب ظل به إلى أن مات ، فتوارثه أولاده من بعده ، وظلّ فيهم إلى عهد العباد الأصبهانيّ الذي زار البصرة سنة ٥٥٦ هـ .

وكان الحريريّ - إلى جانب علمه وأدبه وتمرسه بفنون العربية جميعها - من ذوى الجاه واليسار ، كان له بالمشان أكثر من ثمانية عشر ألف نخلة ، يفلها ويتردد عليها ، وكان له منزل بالبصرة يقصده الأدباء والعلماء يقرءون عليه أو يفيدون من علمه ، وخاصة بعد أن ألف المقامات وذاع أمرها بين الناس . وكان مرهف الشعور صادق الحسّ والتخمين ، حكى أنه زاره شخص غريب ليأخذ عنه شيئاً ؛ فلما رآه استزرى شكله . ففهم الحريريّ ذلك منه ، فلما التمس منه أن يُملّي عليه قال له : اكتب :

ما أنت أول سارٍ غَزَهُ قَمَرٌ      ورائد أعجبتته خُضرة الدَّمَنِ  
فاختر لنفسك غيري إنني رجل      مثل المعيدى فاسمع بي ولا ترني  
فججل الرجل وانصرف عنه .

٢ - وللحريريّ ديوان رسائل أُورد ياقوت شيئاً منها ، وله الرسالة السينية التزم في جميع كلماتها حرف السين ، والرسالة الشينية للتزم في جميع كلماتها حرف الشين ، وأوردها ياقوت أيضاً .

وله شعر في غير المقامات ، ذكر منه ابن خلدكان قوله :

قال العواذل ما هذا الفرامُ      أما ترى الشعر في خَدَيْهِ قد نبتَا

قلقت والله لو أن المفئدلى      تأمل الرشد فى عينيه ما ثبتنا  
ومن أقام بأرض وهى مجدبة      فكيف يرحل عنها والربيع أتى !  
وأورد له صاحب الخريدة :

كم ظباءً بماجرٍ      فتنت بالمحاجر  
ونفوسٍ      نفائسٍ خُدرت بالخادرِ  
وتتنٍ      لخاطرٍ هاج وجراداً لخاطر  
وعذارٍ لأجله      عاذلى عاد عاذرى  
وشجون تضافرت      عند كشف الضفائر  
وأورد له ياقوت :

لا تحطون إلى خطاء ولا خطايا      من بعد ما الشيب فى فوديك قد وخطا  
وأى عذر لمن شابت ذوائبه      إذا سرى فى ميادين الصبا وخطا  
وله غير الشعر والرسائل والمقامات ما يأتى :

١ - درة النواص فى أوهام الخواص ، بين فيه أغلاط الكتاب فيما  
يستعملونه من الألفاظ بغير معناه فى غير موضعه . طبع فى مصر سنة ١٢٧٢ هـ ،  
وفى ليبسك سنة ١٨٧١ م ، وطبع مع شرح الخفاجى فى الأستانة سنة ١٢٩٩ هـ .

٢ - ملححة الأعراب فى صناعة الإعراب ، وهى أرجوزة ، وأولها :

أقول من بعد افتتاح القول      بمحمد ذى الطول شديد الحول

طبعت فى باريس وبيروت ومصر ، وقد شرحها بحرق الحضرمى ، وأسمى  
الشرح « تحفة الأحياب وطرفة الأصحاب » ، وطبع بمصر مرارا أيضا .

٣ - قصيدة من وزن الخفيف ، منها نسخة مخطوطة فى مكتبة برلين برقم  
٧٧٩ ، وأوردها السيوطى فى المزهر ١ : ٢٨٦ - ٢٨٨ ، وأولها :

أبها السائل عن الظاء والضا      د الكيلا تفضله الألفاظ

## شرح المقامات

١ - وتعتبر مقامات الحريري أكثر الكتب حظاً فيما وقع لها من شروح ، وما أديرَ حولها من تعاليق ، أحصى صاحب كشف الظنون أكثر من خمسة وثلاثين شارحاً ، منهم محمد بن علي بن عبد الله الحلبي ، ومحمد بن علي المعروف بابن حميدة ، ومحمد بن محمد المكي الصقلي المعروف بابن ظفر ، وأبو المظفر محمد بن أسعد المعروف بابن حكيم ، وعلي بن الحسن المعروف بشميم الحلبي ، وسليمان بن عبد الباقي بن سلامة الضرير ، والشهاب الحجازي ، وعبد الله بن الحسين المكبري ، وقاسم بن قاسم الواسطي ، عبد اللطيف بن يوسف البغدادي ، وأبو الفتح ناصر بن السيد المطرزي ، ومحمد بن عبد الرحمن محمد بن مسعود الفندجيهي ، وأحمد بن عبد المؤمن القيسي المعروف بالشريشي ، وسليمان ابن عبد القوى الحنبلي العروف بن نجم الدين الطوفي ، وأحمد بن المظفر الرازي وغيرهم .

ومن قام بشرحها من المتأخرين المستشرق دي ساسي - كما ذكرنا - عمل شرحاً من الشروح التي وقعت له ، وأضاف إليه فوائد من كتب الأدب والنحو والتاريخ . وطبع هذا الشرح في باريس مع فهرس للألفاظ والأمثال والأعلام .

ولعل كثرة هذا العدد من الشارحين يرجع إلى ما زخرت به المقامات من الكلمات العربية ، والأمثال والأحادي والأناز ، والنكات النحوية والبلاغية مما يجعل ميدان الشرح ذا سعة وأردية الاستطراد كثيرة .

٢ - وتختلف هذه الشروح إيجازاً وإطناباً ، وأسلوباً ومنهجاً ، ومن أوسعها مجالاً ، وأجمعها الشئيت الفرائد ومنثور الفوائد ، ومتشعب الأغراض ، هذا الشرح الذي

وضعه العلامة أحمد بن عبد المؤمن القيسى المعروف بالشريشى . وقد وقعت له نسخة المقامات مما رواه عن أبي القاسم عيسى بن جهور وأبي الحجاج يوسف القضاعى وأبي الطاهر الخشوعى ، وهم ممن ذكرنا أنهم رحلوا إلى المشرق من علماء الأندلس ولقوا أبا محمد الحريرى فى بغداد ، وقرأوا عليه المقامات فى منزله ، وعادوا إلى بلادهم يحملون المقامات ؛ ضمن الكنوز النادرة التى حملوها من المشرق إلى المغرب عن طريق الرحلة والرواية ...

وقد وقف الشريشى جهده حقبة على هذه المقامات ، يتدارسها مع العلماء ، ويستوعب الكتب والأسفار والدواوين والشروح والتعاليق ، ليتخذ العدة لشرحها ؛ ولهذا الغاية يقول : لم أدع كتاباً ألف فى شرح ألفاظها ، وإيضاح أغراضها إلا وعيته نظراً ، وتحققته معتبراً ومختبراً ، وترددت فى تفهمه ورداً وصدراً ، وعكفت على استيفائه بسيطا كان أو مختصراً ... ولم أترك فى كتاب منها فائدة إلا استخرجتها ، ولا فريدة إلا استدرجتها ، ولا نكتة إلا علقتها ، ولا غريبة إلا استلحقتها ... فاجتمع من ذلك حفظاً وخطأً أعلق جمّة ، وفوائد لم تهتم بها قبله همة ؛ ثم لم أقنع بتدوين الدواوين ، ولا اقتصرت على توقيف التصانيف ؛ حتى لقيت بها صدور الأمصار ، وعلماء الأعصار .

وجعل من أهم مقاصده فى هذا الشرح أيضاً التعريف بالأمصار المذكورة فى المقامات - ما وسعه الجهد - ثم شرح الأمثال . وترجم للمشهورين من الآباء والأبناء والشعراء والأدباء والأعيان ، مع العناية بصنوف البديع وبسط أنواع الأدب وفنونه والإكثار من الشعر فى كل مناسباته . . . . وخاصة الشعر الأندلسى فإنه حشد فيه مجموعة من مختار هذا الشعر ، وانفرد بنصوص نادرة منه لا تجدها فى غير هذا الكتاب .

وبهذه المزاي مجتمعة كان هذا الشرح مرجع الباحث وغمية المتأدب، وغاية المطالع والمستفيد .

٣ - والشارح هو أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى القيسي الشريشي ، ولد بشرش سنة ٥٧٧ - وكانت شريش من أجمل بلاد الأندلس ، وأحفلها بأشجار الكروم والتين والعنب والزيتون - عاش فيها صدر شبابه ، وتلقى بها على أبي الحسن بن لبّال وأبي بكر بن الأزهر وأبي عبد الله ابن زرقون وأبي الحسين بن جبير . ورحل إلى المشرق ثم عاد إلى شريش ، وتوفّي بها سنة ٦١٩ هـ .

وقد ألف من الكتب غير هذا الشرح مختصرا لنوادير أبي على التالي وشرحا لكتاب الإيضاح لأبي على الفارسي وآخر لشرح الجمل للزجاجي ، وجمع مشاهير قصائد العرب ؛ كما وضع رسالة في العروض . وكان أيضا شاعرا مطبوعا شائق اللفظ رشيق المعنى .

ومن نموذج شعره تلك الأبيات التي أوردها المقرئ في ترجمته<sup>(١)</sup> ، وكان قد سافر إلى الشام وشغف بها ثم رحل عنها ، فقال يتشوق إليها :

ياجيرة الشام هل من نحوكم خبرٌ	فإن قلبي بنار الشوق يستمر
بعدت عنكم فلا والله بعدكم	مالذّ للعين لا نومٌ ولا سهرٌ
إذا تذكّرت أوقاتا نأت ومضت	بقربكم كادت الأحشاء تنفطر
كأنني لم أكن بالنير بين <sup>(٢)</sup> ضحى	والغيم يبكي ومنه يضحك الزهر
والورق تنشد ، والأغصان راقصة	والدّوح يطرب بالتصفيق والنهر
والسّفح ، أين عشياتي التي سلفت	لى منه ، فهي لعمري عندي العمرا
سكّك يأسفح ، سفح الدمع منهملا	وقلّ ذاك له إن أعوز المطر

ومما هو جدير بالذكر أن هذا الشرح واحد من ثلاثة شروح وضعها

(١) فتح الطيب ٢ : ٣١٧ (٢) النيرين ، من قرى دمشق .

المؤلف : أولها مختصر ، وثانيها متوسط ، وثالثها هذا المطول ؛ وهو الذي اشتهر في الخلفاء ذكروه ، وأقبل عليه العلماء والمتأدبون دون غيره . . . ومن قصد البحر استقل السواقيا .

\* \* \*

٤ - وحينما قمت بتحقيق هذا الكتاب تحيَّرت النسخ الآتية للرجوع إليها :  
( ١ ) نسخة كاملة مخطوطة بدار الكتب برقم ١٧٥ - أدب ، مكتوبة بقلم معتاد ؛ إلا أنها تخلو من الضبط ، ، وتقع في ٤٣٢ ورقة ، وفي كل صفحة ٣٥ سطرا ، وكل سطر يشتمل على ٢٢ كلمة تقريبا كتبت سنة ١١٣٠هـ ، وفي أولها وقفية على خزانة جامع شيخون سنة ١١٩٣هـ وبعض التمليكات ، وقد رمزت لها بالحرف ( ا ) .

( ٢ ) نسخة خطية محفوظة بدار الكتب برقم ١٧٨ - أدب ، تقع في ١٢٧ ورقة ، وفي كل صفحة ١٩ سطرا ، كل سطر يشتمل على ١٢ كلمة تقريبا ؛ وهي نسخة جيدة صحيحة فيها بعض الضبط إلا أنها ناقصة تشتمل على شرح ١٧ مقامة فقط ، وبهامشها المقامات ، وقد رمزت لها بالحرف ( ب ) .

( ٣ ) نسخة خطية محفوظة بدار الكتب برقم ١٨٠ - أدب ، وهي نسخة خزائنية كتبت بخط نسخ واضح ، ولكنه خال من الضبط ، وتقع في ٤٥٢ ورقة ، وفي كل صفحة ١٠ كلمات تقريبا ، ويحتوي على شرح خمس وعشرين مقامة . وقد رمزت لها بالحرف ( ج ) .

( ٤ ) نسخة طبعت في بولاق سنة ١٣٠٠هـ بتصحيح محمد الحسيني ، وقد رمزت لها بالحرف ( ط ) .

وجميع هذه النسخ كتبت على هامشها المقامات .

هذا عدا مارجت إليه من كتب الأدب واللغة والتاريخ ومجموعات  
الشعر ودواوين الشعراء .

ويطيب لى فى هذا المجال أن أنوه بفضل الصديق العلامة الحجة الدكتور  
محمود مكى الذى تفضل بقراءة هذا الجزء بعد طبعه ، وكانت له ملاحظات قيمة  
أثبتها فيما بعد ، هنا بالإضافة إلى المعارف والمعلومات التى أفدتها منه ، وخاصة  
فى الأدب الأندلسى وتاريخه .

ويقع هذا الكتاب - إن شاء الله - فى ستة أجزاء ، وسألحق بآخره إن شاء الله  
الرسالتين السينية والشينية للحريرى ، وحواشى ابن الخشاب وابن برى وغيرهما على  
المقامات ؛ فضلا عن النهارس الفنية العامة .

ومن الله العون والتوفيق .

رمضان سنة ١٣٨٩ هـ

نوفمبر سنة ١٩٦٩ م

محمد أبو الفضل إبراهيم



# شرح مقاييس الحري

للأبي العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريفي



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ الأستاذ الفوقى النحوى أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن ابن عيسى بن موسى بن عبد المؤمن القيسى الشريشى ، تعلمه الله برحمته ورضوانه ، وأسكنه فسيح جناته بمنه وكرمه أمين :

الحمد لله الذى اختص هذه الأمة بأفصح الألسنة وأفصح الأذهان ، وشرف علماءها بالافتنان فى أفانين البلاغة والبيان ، وميزنا بين سائر الأمم بالثر المتفق الفقى والنظم المعتدل الأوزان .

نحمده على أئفدة هداها ، وألسنة أطال فى شأو البلاغة مداها ، ونصلى على سيد المرسلين ، وخيرة العالمين ، الذى ختمت بنبوته العامة النبوة ، ونسخت بشرعته التامة الكتب المتلوة ، محمد سيد هذا العالم والمحصوص بعلو المكانة ، وعموم الديانة فى ولد آدم ، وعلى آله وصحبه الذين عزروه ووقروه ، وأووه إيواء الموفين باليهود ونصروه ، ونقلوا شرعه الكريم نقل التواتر وآثروه ، وسلم تسليما ، وآتاهم من لدنه رحمة وأجرأ عظيما .

ورضى الله عن الإمام المعصوم ، المهدي المعلوم ، مجدد معالم الديانة ، والملى بأداء الأمانة ، والمشهور على تعاقب العصور بالزمان والمكان والمكانة ، وعن خلفائه الراشدين المرشدين أئمة الهدى ، والتالين له فى شرف ذلك الملى ، والقائمين بأعباء أمره الموعود أنه يبقى أبدا .

ونسأل الله تعالى لسيدنا الخليفة الإمام أمير المؤمنين ابن الخلفاء الأئمة الراشدين ، سعداً يعلى أعلامه ، ونصراً يصحب قلمه وحسامه ، وتأيداً يظهر أمره وينصر اعتمازه ، حتى ينتظم شذآن<sup>(١)</sup> الأمهار فى سلك ملكه ، وتزدحم وفود الأمم

(١) الشذآن ، بالضم والفتح : المنفرد ، وأصله فى الحصى والإبل .

على غمْرِ برّه ، وتنطوي ضمائر القلوب ومحبّاتُ الغيوب على إخلاص طاعته والاشناء لأمره .

أما بعد ؛ فإن العلم أربحُ للكاسب ، وأرجحُ المناصب ، وأرفعُ للراتب ، وأنصعُ للمناقب ، وحرقةُ أهلِ المهَم من الأمم ، ونجيلةُ أهلِ الشرف من السلف ، لم يتقلدُ سلكه إلا جِيدُ ماجد ، ولم يتوشَّح بُردَه إلا عِطْفُ جادٍ في طلبِ الكمال . جاهد ، ولم يستحقَّ اسمه إلا الواحدُ النَّذَّ بعد الواحد ، وهو وإن تشعبت أقاليمُه ، وتنوعت دواوينُه ؛ فعلم الأدب علمُه ، والأسّ الذي يبني عليه كَلِمُه ، والروح الذي ينجبُ في ميدان الطُّروس قلمُه ؛ ولذلك كان أولى ما تترحه الترائح ، وأعلى ما تجنح إليه الجوائح ؛ فذوو الأخطار في سائر الأقطار يقنافون في اقتنائه ، ويتصافنون في عافِي إنائه<sup>(١)</sup> ، ويرتاحون لأوضاعه وتأليفه ، ويستريحون إلى أعبائه المسكودة وتكاليفه ، فإنه زمام المنظوم والمنثور ، وقوام<sup>(٢)</sup> نطقِ الألسنة وفكرِ الصدور ، ومنسِّطُ المقال من عِقالِ النهابة ، ومميِّزُ الأقدار بالمهابة والنباهة .

ولم يزل في كلِّ عصر من حَمَلته بدر طالع ، وزهر غصن يانع ، وعلم ترنوا إليه أبصار وتوميء إليه أصابع ، وصناعة البراعة بينهم تتمكّن وتتأصل ، وتنويع البديع ينضبط ويتحصّل ، والآخر يكدّ ذهنه في تميم ما غادره الأول ؛ إلى أن اعتدلت كفتاه ، وامتلاّت ضِفَّتاه ، وراق مجتلاه ومجتناه ، وتناهى في الحسن والإحسان لفظه ومعناه .

وكان آخرَ البلغاء وخاتمة الأدباء ، أولهم بالاستحقاق ، وأولاهم بِسِمَةِ السباق ، والفذّ الذي قد عمقت عن توءمه فتية العراق ، وفارس ميدان البراعة ،

(١) يقال : تصافن القوم الماء ؛ إذا قسموه بالحصص . والعاق : ما فضل في القبول ؛ والكلام على الاستعارة .

(٢) قوام الأمر بالكسر : نظامه وعماده .

ومالك زمام القُرطاس واليراعة ، والملبّي عند استدعاء دُرر النِقَر بالسمع والطاعة ،  
 أبو محمد القاسم بن عليّ الحريريّ - سقى الله ثراه صَوْبَ رحماه ، وكافاً إحسانه  
 في الثناء عليه بمجسناه - فبسط لسان الإحسان ، ومدّ أفنان الافتنان ، ومهد جادة  
 الإجادة ، وقوى مادة الإفادة ، ولم يُبق في البلاغة متعقبا ، ولا للريادة مترقبا ،  
 لاسيما في المقامات التي ابتدعها ، والحكايات التي نوّعها وفرّعها ، والمُلمح التي  
 وشّحها بدُرر النِقَر ورضّعها ؛ فإنه برّز فيها سابقاً ، وبزّ البُلغاء فائقاً ، وأتى بأعنى  
 الدقيق للنظ الرقيق مطابقاً ، وخلدها تاجاً على هامة الأدب وتِقصاراً<sup>(١)</sup> في جيد لغة  
 العرب ، وروضة تحوم أنفاس الهمم عليها ، ولا تصل أيدي المطامع إليها .

ولما كانت من البراعة بهذا المحلّ الشهير ، وسارت مسير النّيرين بين  
 مشاهير الجماهير ؛ جعلتُ الاعتناء بها سهم فهمي ، والعكوفَ عليها حرزَ عزمي ،  
 والدّءوب في حفظ لغاتها وفكّ محبّاتها أهمّ همّي ، وصيّرت تحفّظها فرضَ عيني ،  
 والفكر الذي لا يحول وسنّي بينه ويدي . فبدأت بروايتها عن الشيوخ والنقات ،  
 وتقييد ألتاظها عن أعلام هذه الجهات ؛ حتى لا أقل لفظاً إلا عن تحميق ، ولا أثبت  
 ضبطاً إلا من طريق .

فكان أوّل من أخذت عنه روايتها ، وتلقّيت منه درايتها ، ببليدى ،  
 الشيخ الفقيه المقرئ أبو بكر بن أزهر الحجريّ ، حدّثني بها عن صهره  
 الفقيه الحدّث الراوية أبي القاسم بن عبد ربه القيسى المعروف بابن جهور ،  
 عن منشئها أبي محمد الحريريّ . وحدّثني بها أيضاً ببليدى الشيخ الفقيه الراوية  
 أبو بكر بن مالك النهريّ عن ابن جهور المذكور ، وعن الشيخ الفقيه  
 أبي الحجّاج الأبدّي القضاعيّ ، كلاهما عن أبي محمد الحريريّ . وحدّثني بها  
 أيضاً إجازةً الشيخ الفقيه الحدّث أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الحجريّ

(١) التقصار والتقصارة ، بالكسر : العبادة ؛ سميت بذلك لازوماً قصره العنق .

عن القضاة. وحدثني بها أيضاً الكاتب الزاهد أبو الحسين بن جبير عن الشيخ الجليل بركات بن إبراهيم بن طاهر بن بركات القرشي المعروف بالخشوعى عن الحريرى. وحدثني بها أيضاً الشيخ الفقيه الأستاذ أبو ذرّ مُصعب بن محمد بن مسعود الخشنى بسنده ، بعد وقوفه رحمه الله على هذا الشرح وأمره لى بتكميله . وتلقيت بها جماعة من جلة الأسيّاح أكثر في العدد ممن ذكرت ؛ لا يعدمنى واحد منهم إفادة ضبطينة أو لفظية ، ولا يفقدنى زيادة هزلية أو عظيمة ، فأخذتها أخذ متثبت ، عن واع منكّت .

ثم لم أدع كتاباً ألف في شرح ألفاظها وإيضاح أغراضها ، وتبيين الإنصاف بين انفصالها واعتراضها إلا وعيته<sup>(١)</sup> نظراً ، وتحققته معتبراً ومختبراً ، وتردّت في تفهمه وزداً وصدراً ، وعكفت على استيفائه بسيطاً كان أو مختصراً ؛ حتى أتيت على جميع ما انتهى إليه وسعى ممن فسرها ، واستوعبت عامة فوائده الممكنة بأسرها ؛ ولم أترك في كتاب منها فائدة إلا استخرجتها ، ولا فريدة إلا استدرجتها ، ولا نكتة إلا علقتها ، ولا غريبة إلا استاحقتها ، ولا غادرت في موضع منها مستحسناً يشدّ عن جمعى ، ولا مستجاداً ينبو عنه بصرى أو سمى . فاجتمع من ذلك حفظاً وخطأً أعلق جمّة ، وفوائد لم تهتمّ بها قبلى همّة ، ثم لم أقنع بتبيين الدواوين ، ولا اقتصرت على توقيف التصانيف ؛ حتى لقيت بها صدور الأمصار ، وعلماء هذه الأعصار ، فباحثت وناقشت ، وتناولت وتداولت ، وطالبت المتحفّظ بالأداء ، والمتيقظ بالإبداء ؛ حتى لم أبق في قاذحة زندياً إلا اقتدحته ، ولا مُفغلاً إلا افتتحت ، فتحصّل لى من ذلك أيضاً عيون صائبة النواظر ، وفنون قلماً توجد في مخبّات الدفاتر .

وأنا فى خلال ذلك ألتبس مزيداً ، ولا أسأم بمحماً وتقييداً ، إلى أن عثرت على

(١) ط ب : «أوعيته» ، وأوعى الشيء : حفظه ؛ مثل وعى .

شرح الفَنجَدِيهِي<sup>(١)</sup> للمقامات - والفنجديهي هو الشيخ الحافظ أبو سعد محمد ابن عبدالرحمن بن محمد السعودي ، من قرية فنجديهة من عمل خراسان - فرأيت في شرحه الغاية المطلوبة ، والبغية المرغوبة ، والضالة التي كانت عنى إلى هذا الأوان مطوية محجوبة ؛ فاستأنفت النَّظْرَ ثانياً ، وشمرت عن ساعد الجدِّ لا متكاسلا ولا وانياً ، وعانيت نور المعنى في نور اللفظ فأصبحت محتاياً جانياً ، فاستوعبته أيضاً أبلغ استيعاب ، وقيدت من فوائده ما لم أجد قبله في كتاب ، وأخذت منه أحاديث مسندةً أوردتها ، وآثاراً مرفوعة قيدها تليق بالباب الذى أوردت فيه ، وتورد مصححةً إما لألفاظه وإما إمامانيه ، وحذفت أسانيد - وإن كان قد أوردتها - تخفيفاً عن يريد الملتن ويتغنيه ؛ فتم لى بهذا الغرض استيفاء مقاصده ، واستيعاب فوائده . وتركته مستلب المعانى ، مطروق المعانى ، كالروض ركبت ريمه ، والجسم قبض رُوحه ؛ فأنضاف من فوائده هذا التأليف البديع - إلى الفوائد الملتقطة من الألسنة والأخوذة من التصانيف المستحسنة - روض كله زهر، وسلك كله دُرر ، وأدب إن لم يجمعه التصنيف فهو بعد عين أثر .

فاستخرت الله تعالى فى ضمّ ما انتشر من فوائدها ، ونظم ما انتثر من فرائدها ، والاعتناء بتأليفٍ فى المقامات يُغنى عن كلِّ شرح تقدّم فيها ، ولا يحوج

(١) الفنجديهي ؛ منسوب إلى فنجديهة ، قال ياقوت : « فنجديهة ، بالفتح ثم السكون ثم فتح الجيم وكسر الالف وياه ثم هاء خالصة ، وينسب إليها فنجديهة . بلدة فيها خمس قرى ؛ قد اتصلت عمارة بعضها ببعض ، قرب مرو الروذ . وهو أبو سعيد محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مسعود السعودي ، التوفى سنة ٥٨٤ ، ذكره صاحب كشف الظنون ، ووصفه العماد فى سفريات الذهب بالرحال الأرب وقال : مات عن اثنتين وثمانين سنة بدمشق ، وسمع من أبى الوقت وطبقته ، وأملى بمصر مجالس ، وعنى بهذا الشأن ، وكتب وسمى ، وجمع فأوعى ، وصنف شرحاً طويلاً للمقامات ، قال يوسف بن الخليل الحافظ : لم يكن فى نقله بثقة ، وقال ابن النجار : كان من الفضلاء فى كل فن ، فى الفقه والحديث والأدب ، وكان من أطرف المشايخ وأجلهم » .

إلى سواه في لفظ من ألفاظها ولا معني من معانيها ، فتمّ من ذلك مجموع جامع ، وموضوع بارع<sup>(١)</sup> ، أودعته من اللغات أصحّها وأوضحّها ، وأسلسها قياد لفظ وأسمّها ؛ وأولاها بالصواب في مزان الاختلاف وأرجحها ؛ ونسبت المشكّل منها إلى قائله من جهاذة العلماء ، وجمعت بين مشهور اللغات ومشهور الأسماء ، وسبكت العبارة عن المعاني سبكا يدلّ على الإلغاء والإصفاء . وهذا النصل وإن سبقني إليه من تقدّمني من الشارحين قبلي ، فلي فيه مزية إيراد اللفظ البعيد عن الإشكال ، والمطابقة بين الأقوال وأرباب الأقوال .

ثم زدت في فوائد هذا التأليف التعريف بالأمصار المذكورة في المقامات على أوفى ما يمكنني ؛ من ذكر مواضعها وأقذارها واختطاطها ، ومن عقّد صلاحها ، أو تولّى فتحها ؛ وهذه فوائد لا يخفى مكانها ، ولا ينكر استحسانها ، فالحاجة إلى التعريف بالمكان ، تتلو الحاجة إلى غوامض اللسان .

ثم استوعبت شرح الأمثال ونسبتها ، جمعاً بين القائلين والأقوال ، ولم أغفل منها الكثير الدور ولا القليل الاستعمال ، وهذا الفن لم يتبعه أحد على الكمال ، وإن ذكره فإنما يذكره استطراداً بحسب الحال .

ثم استوفيت أيضاً ذكر من وقع فيه من الرجال والنساء أتمّ استيفاء ، وعرفت المشتهرين من الآباء والأبناء ، وبيّنت أنسابهم وأمكنهم ، وأخبارهم وجرّقتهم ، وآثارهم ومدتهم ، زيادة في التهم<sup>(٢)</sup> والاعتناء . وهذا الفن أيضاً لم يورده الشارحون حقّ إirاده ؛ ولا اعتمدوه بالتبليغ حقّ اعتماده ، وهو مهمّ في الإفادة ، وعلى مغفله في الوقت وبعده الإعادة .

ثم زدت فيه فصلين مفيدين لم أر من اعتنى بهما ، ولا من قصد قصدهما ، سوى أبي سعيد الفنجديهيّ في بعض المواضع ، فإنه الملح والمع ، وأورد اليسير فما شفي ولا أقنع :

(١) : « فصار ذلك مجموعاً جامعاً ، وموضوعاً بارعاً » .

(٢) ط : « التهم » ، تحريف ، صوابه من أ .

أحدها: تبين مأخذ الحريري في الكلام ، وإخراج الإحالات المودعة فيه من حيز الإبهام ، والرد إلى المنشأ في آية أو أثر ، أو خطبة أو خبر ، أو حكمة فائقة ، أو لفظة رائقة ، أو بيت نادر ، أو مثل سائر ؛ وهذا تتميم بين ، وتكميل متعين .

والفصل الثاني : التنبيه على صناعة البديع ، وتوفية أسمائه ؛ كالنجيس والتتيم والترصيع ، والإتيان بهذا النوع من التبيين والتنبيه على الجميع ، وبسط أنواع الأدب واقتنانه ، والإكثار من الشعر في مظانه من الجدد والهزل في المواضع اللائقة باستحسانه ، ومقابلة كل باب بما يزيد في حسنه وبيانه ، والجري مع أبي محمد حسب اتساع خطوه وامتداد ميدانه .

ومن تمام التصنيف ردّ الفرع إلى أصله ، والجمع في الترتيب بين الشكل وشكله ، فأتبعتُ المواعظ بما يزيدها أثراً في القلوب ، وأردفت المسليات بما يعينها في إجلاء الكروب ، وسلكتُ هذه المسالك في سائر الأساليب وأنواع الضروب ؛ فإن وُجد في هذا الكتاب لفظ ظاهره الهزل ، أو معنى ينسب فيه إلى العذل ؛ من وصف نور وثمر ، وذكر نديم وخر ، أو نعت حُسنٍ وحسن ، أو مدح سماع وأذن ، فلانّ أبا محمد بدأ بأمر فتتم ، وخصّ نوعاً فتمم ، مع أن صنعة الأدب مبنية على المُلح ، وخواطر الأدباء جائشة بما سَنَح . فجاء من هذا الترتيب الغريب ، ما يضرب في الإجادة بسهم مصيب ، ويثبت لي في الجدد والدعوب أوفر نصيب .

ثم رأيت الشارحين لها من أولى البصر كالفنحديهيّ وابن ظفر<sup>(١)</sup>

(١) هو محمد بن أبي محمد بن محمد بن ظفر ؛ صاحب التصانيف المتنوعة السائرة ، ذكره القفطي في الإنباه ٣ : ٧٥ ، وقال : « ورأيت له شرح المقامات ، قد صنّفها لأهل المغرب ، وقد نقل ألفاظها من نسخة سقيمة فصحف ونجح التصحيف ؛ وسمعت أنه كان ينتدر من ذلك إذا قيل له ، ويقول : هذا أمر أحدثته المجلة وبعد الدار . وذكر صاحب كشف الظنون هنا الشرح وسماه : « التنقيب على ما في المقامات من الغريب » .

قد جردوا من شروهم مختصرات وجيزة ، اقتصروا فيها على إيراد اللغات ،  
فخذوتُ حذوهم في مختصرٍ أوردتها فيه على السكال ، ووقفتُ حقها من رفع  
الغلط وكشف الإشكال ، ولم أخلّ في تصريفها واشتقاقها بوجه من الوجوه  
ولا حال من الأحوال ، فجاء غاية في هذا الباب ، مغنيا في اللغات الغربية عن  
كل كتاب ؛ فإن فاته هذا الأصل بضروب من الإفادات وأنواع من الزيادات ،  
فذلك الفرع شُوف الاستيعاب في اللغات ، ومزية الاشتقاق والتصريف  
والشاهد من الشعر والآيات .

وكلّ ذلك بلطف الله تعالى ، وبسعد مَنْ شَرَفَتْ كتابي بخدمته ،  
وبنيتُ تأليفي على أداء شكر نعمته ، ونصبت نفسي لأقف ببابه الأعلى ، وأتزيّن  
بلمّ تربته فأنا العبد وهو المولى ؛ عماد الأنام ، والظلّ الممدود على المسلمين  
والإسلام ، ونعمة الله التي هي من أفضل النعم الجسام ؛ منفق سوق المعارف ،  
ومفجّر بحور المنّ والعوارف ، المجير بفضلُه وعدله من المفاقر الفادحة والخاوف ،  
سيدنا الخليفة الإمام أمير المؤمنين أبو عبد الله ابن إمام الأئمة الراشدين وولّي  
عهده سيدنا الأمير الأجلّ أبو يعقوب ، أيد الله سلطانهم ، وأيد بيضتهم  
وحزبهم ، وجمع القلوب على الانقياد لهم ، والوجوه على التوجّه قباهم .  
وهذا الكتاب وإن كان المعبر عن حسنه ، والغاية الملتزمة في فنه ، والجامع  
لما افترق في سواه ، واللمبّز بما وشّحه من الزيادات وحلّاه ، فإنه لم يتم جماله ،  
ولا استوفى احتواءه على الفوائد واشتماله ، إلا ببركة مولانا الخليفة ، واقتران اسمه  
الكريم باسم وليّ عهده المستحق للتقديم في هذه الصحيفة . فالحمد لله على التوفيق  
لخدمتهم ، والمعونة على شكر نعمتهم ، والتعرض لخيري الدنيا والآخرة في ظلّ حرمتهم .  
وقد بذلتُ في الخدمة جهدي ، وأبرزت من فوائد هذا التّأليف أنفس  
ماعندي ، ولم أتعاط قياماً بكل الواجب ، ولا وفاء بجميع الحقّ الراجح ؛ فالقول  
يقصر عن التحصيل ، وليس إلى مطاولة الطود ومكاثرة اليمّ من سبيل .

وقد كنت حين أتممتُ هذا التأليف ، وألقيت عن كاهلي الأعباء التي  
 له والتكليف ، وجلوته كالحسنة ألفت في المنصّة النصيف ، كثرت خطابه  
 إلى من البلدان ، وتواردت عليه رغبات الاستجادة والاستحسان ، فقلت : حتى  
 يقشرف بلمّ اليمين العليا ، ويتخصص بقبول إمام الدين والدنيا ، فمن بابهِ الأسمى  
 يُلتقط درّه المنظوم ، وببركاته يسطع مسكه العبيق<sup>(١)</sup> المختوم .

وها أنا أشرع ببركة الله وبركة خليفته المبارك الأهدى ، وبنجته المتقلد منه  
 صفة وعهداً ، في شرح الخطبة كلمة كلمة ، وإيضاحها حتى لا أدع لفظة مبهمه ،  
 ثم أشرح المقامات على الولاء ، وأسلاك الجمع بين الإيجاز والاستيفاء ، ولا حول  
 ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله وسلم  
 أفضل التسليم .

(١) ط : « العبيق » نصيف ، صوابه من أ .

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الصِّدْرُ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَحْمَدُكَ عَلَى مَا عَلَّمْتَ مِنَ النَّبِيَّانِ ، وَأَلْهَمْتَ مِنَ  
التَّبْيَانِ ، كَمَا نَحْمَدُكَ عَلَى مَا أَسْبَغْتَ مِنَ الْعَطَاءِ ، وَأَسْبَلْتَ  
مِنَ الْغَطَاءِ .

\*\*\*

اللهم - إنا نحمدك ؛ اللهم اسم خصصته الميم المشددة في آخره ببناء الباري سبحانه ، والتزم معها حذف حرف النداء لوقوع الميم خلفاً عنه ، ولحلّ اللام في أوله ، لأنه لا يلي حرف النداء لامُ التعريف إلا في قولهم : « يا الله » ؛ لتكون اللام الزائدة نائبة عن حرف أصليّ ، وهي همزة « إله » ، فصارت كالأصليّ ، وفي غير هذا الاسم تنجرد اللام للزيادة في أول الاسم . و « يا » زائدة في أوله كذلك ، وهما جميعاً لتخصيص الاسم وإزالة التشياع التذكير عنه ، فلما تقاربا في المعنى ، وتشابها في الزيادة ، وطلب كل واحد منهما أن يلى الاسم دون صاحبه ، ترك استعمال الجمع بينهما في أول الاسم إلا في ضرورة الشاعر لإقامة الوزن . وأما اللام في قولهم : « يا الله » فلما كانت نائبة عن حرف أصليّ خفيت زيادتها ، فلما زادوا الميم في آخره فضحت اللام وشهرت معنى الزيادة ، فامتنعت « يا » من أوله إلا عند الضرورة كامتناعها في الرجل والغلام ؛ فلما كانت الميم هي الموجبة لمنع « يا » حمل الاسم معها معنى « يا » فصار مختصاً بالنداء متممناً من غيره .

ونحمدك ، معناه نشئ عليك بآتم وجوه الثناء كلها ، فيدخل تحته الشكر ،

والشكر ثناء يقابل به معروف ، وفي الحديث : « الحمد رأس الشكر فمن لم يحمد الله لم يشكره »<sup>(١)</sup> ، والحمد ذكر الرجل بما فيه من صفات جليلة . والشكر ذكره بما له من أفعال جزيلة ، من قولهم : دابة شكور ، إذا ظهر بهامن السمن فوق مائتا كل من العاف . ويقال : أشكر من برّوقه<sup>(٢)</sup> ، وهي شجرة معروفة تخصب بأدنى مطر ؛ ويؤكد الفرق بينهما أن الحمد في مقابلة الذم والشكر في مقابلة الكفر ، فاختلاف تقيضيهما دليل على اختلافهما في أنفسهما .

البيان : وضوح المعنى وظهوره ، والتبيان : تفهّم المعنى وتبينه . والبيان منك لغيرك ، والتبيان منك لنفسك ، مثل التبيين تقول : بينت الشيء لغيري بياناً وتبينته أنا تبياناً ؛ وقد يقع التبيان بمعنى البيان ؛ حكى أبو منصور الأزهرى رحمه الله : بينت الشيء تبييناً وتبياناً ، قال تعالى ﴿ تَبَيَّنَا لَكُلِّ شَيْءٍ ﴾<sup>(٣)</sup> أى بيّنت لك فيه كل ما محتاج إليه أنت وأمتك من أمر الدين ، فهو لفظ عام أريد به الخاص . وقد يقع البيان لكثرة الكلام ، ويُعدُّ ذلك من النفاق ؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الحياء والعى شعبتان من الإيمان ، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق » أخرجه الترمذى<sup>(٤)</sup> . وقال : « العى قلة الكلام والبذاء الفحش ، والبيان كثرة الكلام » .  
ألمت : تبهت عليه وفهمته . وأسبغت : أتممت وكثرت . وأسبلت : أطلت . والغطاء ، أراد به ستر الله على عبده .

\* \* \*

وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شِرَّةِ اللِّسَنِ ، وَفُضُولِ الهَدَرِ ، كَمَا نَعُوذُ بِكَ مِنْ  
مَعْرَةِ اللَّكَنِ ، وَفُضُوحِ الحَصْرِ . وَنَسْتَكْفِي بِكَ الْاِفْتِنَانَ بِاطْرَاهِ

(١) الجامع الصغير ١ : ٢٦٠

(٢) الميداني ١ : ٣٨٨ ، قال في شرحه : « هي شجرة تخضر من غير مطر ، بل

تلبت بالسحاب إذا نشأ - فيما يقال » .

(٣) سورة النحل ٨٩ .

(٤) نقله في الجامع الصغير ١ : ٢٦١ عن الترمذى وأحد والمقام .

الْمَتَادِحِ، وَإِعْضَاءِ الْمُسَامِحِ؛ كَمَا نَسْتَكْنِي بِكَ الْإِتِّصَابَ لِإِزْرَاءِ  
الْقَادِحِ، وَهَاتِكَ الْفَاضِحِ.

\* \* \*

نعوذ، أى نستجير . شِرةٌ: حدة، واللسن: حدة اللسان وإدلاله على الكلام .  
فضول: زوائد. الهذر: إكثار الكلام بغير فائدة . معرفة: شدة وصعوبة، والمعرفة:  
العيب والعار . وقيل: هى كل ما يؤذيك ، وفلان يَعْرِقُومَه ، أى يُدخل عليهم  
مكروها يلطّخهم به ؛ وأصله من العرة وهى الفعلة القبيحة ، أو من المرّ وهو  
الجرب . وَاللَّكْنُ: احتباس اللسان عند الكلام . فضوح: شهرة وفضيحة . الحَصْرُ:  
العِىّ، وَحَصْرٌ حَصْرًا إِذَا أَعْيَا وَاسْتَحْيَا أَوْ ضَاقَ صَدْرُهُ . واستعاذ من شرّة اللسن  
لأنه من اقتدر على الكلام أذاه إلى المطاولة فى الجدل وتصوير الباطل فى صورة  
الحق ، وفيه إثم على فاعله، وأصل الشّرة التلق والانتشار ، ومنه الشرّ ؛ وقد شرّ  
يُشَرُّ، ومنه شرّر النار . ثم استعاذ من ضدها وهى المعرفة ، لأن صاحبها لا يتم لفظه  
فيشين بذلك نفسه ، ويقصر عن مراده من البيان . ثم قرن بها الحصر لأن مَنْ  
يعتربه يتوالى عليه الوهلُ والخجل ؛ فلا يستطيع الكلام ، فيفتضح ويشهر عيبه .  
وهذا الفنّ من الكلام يسمّى فى صنعة البديع المقابلة، وأول من صدّر به كتابا  
عمرو بن بحر الجاحظ فى كتاب البيان<sup>(١)</sup>، فقال: اللهم إنا نعوذ بك من فتنة القول،  
كما نعوذ بك من فتنة العمل ، ونعوذ بك من التكلّف لما لا نحسن، كما نعوذ بك  
من العُجْب بما نحسن، ونعوذ بك من السّلاطة والهذر<sup>(٢)</sup>، كما نعوذ بك من العِىّ  
والحصْر ؛ وقد يما تعوّدوا بالله من شرهما، ورجعوا إليه فى السلامة منهما ؛ وقد قال  
النّير بن تولب :

(١) البيان والتبيين ١ : ٣ ، مع اختصار وحذف .

(٢) السّلاطة : حدة اللسان والصخب : والهفر : كثرة الكلام فى خطأ .

أَعَذَّنِي رَبٌّ مِنْ حَصَرَ وَعِيٍّ      وَمِنْ نَفْسٍ أَعَالَجَهَا عِلَاجًا  
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلْقَمَةَ<sup>(١)</sup>:

لَقَدْ وَارَى الْمَقَابِرُ مِنْ شَرِيكَ      كَثِيرَ تَحْلُمٍ وَقَلِيلَ عَابِ  
صُوتًا فِي الْحَافِلِ غَيْرِ عِيٍّ      جَدِيرًا حِينَ يَنْطِقُ بِالصَوَابِ

ثم استرسل في ذكر العيِّ والبيان إلى غاية بعيدة ، واستشهد على النوعين بآيتين ؛ بقوله تعالى : ﴿سَلِّقُوا كُم بِالسَّنَةِ حِدَادٍ﴾<sup>(٢)</sup> ، وفي الضد بقوله تعالى : ﴿أَوْ مَن يُنَشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾<sup>(٣)</sup> ؛ فاختدى الحريري هذا الخذو ، فجامت تشبيهاته أطبع وأصنع ، وزاد عليه بأن ابتداء بحمد الله على نعمة البيان ، ثم استعاذ مما استعاذ منه الجاحظ ، وبيان المقابلة في كلامه أنه قابل شرّة بمرّة واللّسن باللكن ، والهذّر بالحصّر ؛ فإذا تفهّمت مواقعها في كلامه قست عليها ما يشبهها في النظم والنثر . وسئل قدامة الكاتب عن المقابلة ، فقال : هي أن يضع الشاعر أناظا يعتمد التوافق بين بعضها وبعض في الخالفة ، فيأتي في الموافق بما يوافق ، وفي المخالف بما يخالف ، وأنشد في ذلك :

فِياعجبا كيف اتفقنا فناصح      وفي ومطوى على الغشّ غادر<sup>(٤)</sup> !  
فجعل يزاء « ناصح » ، « وفي » ، « غاشا : غادرا » . ومثله :  
فتي تمّ فيه ما يسرّ صديقه      على أن فيه ما يسوء الأعدايا<sup>(٥)</sup>

نستكفي : معناه نسألك ونطلب منك أن تكفينا الافتتان ؛ وذلك أن تصاب بفتنة الإعجاب ، وأصل الفتنة اختبار النضة بالنار ، قال تعالى في الاختبار : ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾<sup>(٦)</sup> ، أي اختبرناك . والفتين : النضة المحرقة ، والفتين أيضا : الحجارة المحرقة ، وهي الحجارة تُدَلِّكُ بها الأقدام في الحمام . والإطراء : الاسترسال في مدح

(١) في البيان والتبيين : « محرز بن علقمة » .

(٢) الأحزاب ١٩ .

(٣) الزخرف ١٨ .

(٤) تحرير التخيير ١٨١ — قال : « أحسبه لكثير . وانظر العمدة ٢ : ١٤ » .

(٥) للناطقة الجمعدى ، ديوانه ١٧٤ .

(٦) سورة طه ٤٠ .

الإِنسان بحضرة، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ» .  
 إغضاء: تجاوز ومسامحة، وأصله أن يبدو لك الشيء فتدني جفنيك وتقتصر نظرك كأنك لم تره . والإغضاء: الإغماض وأغضيت عنه وأغضت، إذا تغافلت عنه . المسامح: الموافق لفرضك، المتجاوز عن عيبك . الانتصاب: الظهور والاعتراض أمام الشيء . إزرأء: تقصير وتنقيص . القادح: العائب، وقدحت الدود في الأسنان والشجر: أكلتها، فكأن فعل هذا العائب في أعراض الناس فعل الدود في الشجر . والقادح أيضا: الذي يضرب الزند بالحجر ليورى . هتك: شق، وهتك الستر: خرقته . الفاضح: الذي يشهر عيوبك، وفضحت الشيء: كشفتته .

\*\*\*

وَنَسْتَفْرِكُ مِنْ سَوَاقِ الشَّهَوَاتِ إِلَى سَوَاقِ الشُّبُهَاتِ ؛ كَمَا نَسْتَفْرِكُ  
 مِنْ نَقْلِ الْخَطَوَاتِ إِلَى خَطَطِ الْخَطِيئَاتِ . وَنَسْتَوْهَبُ مِنْكَ تَوْفِيقًا  
 قَائِدًا إِلَى الرُّشْدِ ، وَقَلْبًا مُتَقَلِّبًا مَعَ الْحَقِّ ، وَلِسَانًا مُتَحَلِّيًا  
 بِالصِّدْقِ ، وَنُطْقًا مُؤَيَّدًا بِالْحُجَّةِ ، وَإِصَابَةً ذَائِدَةً عَنِ  
 الزَّيْغِ ، وَعَزِيمَةً قَاهِرَةً هَوَى النَّفْسِ ، وَبَصِيرَةً نُدْرِكُ بِهَا  
 عِرْفَانَ الْقَدْرِ .

\*\*\*

نستفرك: نسألك المغفرة، وهي من غفرت الشيء سترته. الشبهات: جمع شبهة وهي ما يشبه عليك أمره. والخطوات: جمع خطوة؛ وهي ما بين القدمين. الخطط: جمع خطة وهي الطريق يخطه الرجل في الأرض يجعله حدًا للشيء يحوزه ويعتمده. والخطة، بالضم: المنزلة والمزية. والخطيئات: الذنوب، وهي من الخطأ، وجعل ماساقه

في المقامات كأنه شهوة اشتمى عملها ، ثم اشتبه عليه : هل في ذلك رضا الله أم سخطه ! فكأنه ساق شهوة إلى سوقٍ يجهل التَّباع فيها فلعلَّه فيها خاسر الصَّفقة ، فلهذا استغفر الله منها. الرُّشد : الهداية يرشده الله رشداً وأرشده هداًه . ورشدهو رُشدًا ورشادا : اهتدى . متحلِّياً : متصفاً ومتزِيناً . مؤيداً : مُعاناً . وأصابني كلامه إصابة : إذا نطق بالصواب ، ورمى فأصاب لم يخطئ ؛ وقوله تعالى : ﴿ رُخَاءٌ حَيْثُ أَصَابَ ﴾<sup>(١)</sup> ، أي حيث أراد ، قال القراء : اختلفتُ أنا وعيسى النخوى في الآية فقلت : ما أحدٌ أعلم بهذا من رؤية ، قال : فسرنا إليه فلقيناه يتوكأ على اثنين ، فقال : أين تصيبان؟ أي أين تريدان؟ ، فقلت لصاحبي : كُنَيْتَ السُّؤال<sup>(٢)</sup> . ذائدة : دافعة . الزيف : الميل ، وزاغ عن الحق : مال عنه إلى الباطل . العزيمة : الجِدُّ ، وعزم على الشيء : جدَّ فيه . قاهرة : غالبة . وهوى النفس : ماتحبه وتميل إليه . بصيرةٌ : يقيا ، والبصيرة للقلب ، والبصر للعين . عِرْفان القدر ، أي معرفة أقدارنا .

\* \* \*

وَأَنْ تَسْعِدَنَا بِالْهِدَايَةِ إِلَى الدَّرَايَةِ ، وَتَمُضِدَنَا بِالْإِعَانَةِ ۖ  
عَلَى الإِبَانَةِ ، وَتَمُصِمَنَا مِنَ النَّمَايَةِ فِي الرُّوَايَةِ ، وَتَصْرِفَنَا  
عَنِ السَّفَاهَةِ فِي الْفِكَاهَةِ ؛ حَتَّى نَأْمَنَ حَصَائِدَ الأَلْسِنَةِ ،  
وَنُسَكْفِي غَوَائِلَ الزُّخْرَفَةِ ؛ فَلَا نَرِدَ مَوْرِدَ مَأْتَمَةٍ ، وَلَا نَقْفَ  
مَوْقِفٍ مَنْدَمَةٍ ، وَلَا نُرْهَقَ بِتَبِيعَةٍ وَلَا مَعْتَبَةٍ ، وَلَا نُلْجَأَ إِلَى  
مَعْدِرَةٍ عَنِ بَادِرَةٍ .

\* \* \*

(١) سورة ص ٣٦ .

(٢) الخبر في الكشاف ٤ : ٧٤ ، روايته : « عن رؤية ، أن رجلين من أهل اللغة قصدها ليسألوا عن هذه الكلمة ، فخرج إليهما ، فقال : أين تصيبان ؟ فقالا : هذه طلبنا ؟ ورجما . »

الدَّرَايَةُ: مصدر دَرَيْتُ الشَّيْءَ دَرَايَةً وَدَرَايَةً، عَلَّمْتَهُ . تَعَضُّدُنَا تَقْوِينَا، وَعَصْدُهُ: أَعَانَهُ وَكَانَ لَهُ عَضُّدًا . الإِبَانَةُ : مصدر أَبْنَتُ الشَّيْءَ ، أَيْ بَيَّنْتَهُ . تَعَصُّمْنَا مِنَ الْغَوَايَةِ ، أَيْ تَمْنَعُنَا مِنَ الضَّلَالَةِ وَالنَّسَادِ ، وَالغَوَايَةُ : مصدر غَوَى غَوِيًّا وَغَوَايَةً وَغَوَوِيًّا أَيْضًا غَوَايَةً ، وَهِيَ ضِدُّ رَشَدٍ وَرُشْدًا . الروَايَةُ : نقل الحديث من صاحبه إِلَى طَالِبِهِ . تَصَرَّفْنَا: تَزَيَّلْنَا . السَّفَاهَةُ: الجَهْلُ ، وَالْفِكَاهَةُ : العُزَاجُ وَمَا تَسْتَرِيحُ بِهِ النَّفُوسُ وَهِيَ فِي الْكَلَامِ كَالْفَاكِهِةِ فِي الطَّعَامِ . حَصَائِدُ الْأَسْنَةِ : شَرٌّ كَلَامِهَا وَقَطْعُهَا فِي أَعْرَاضِ النَّاسِ ، وَأَرَادَ مَا جَاءَ فِي حَدِيثِ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ لَنَوُا خَذِبْنَا تَكَلَّمُوا ؟ قَالَ : « تَكَلَّمْتُكَ أَمَلِكُ بِمَا عَاذُوا ! هَلْ يَكُوبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى رءُوسِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَسْنَتِهِمْ ! » فَدَعَا اللَّهَ أَنْ يَتِمَّ سَعْدُهُ بِأَنْ يُؤْمِنَهُ عَادِيَةَ الْأَسْنَةِ . وَالْحَصَائِدُ فِي الْأَصْلِ : جَمْعُ حَصِيدَةٍ وَهِيَ الْحُزْمَةُ مِنَ الزَّرْعِ الْحَصُودِ فَهِيَ فَعِيلَةٌ بِمَعْنَى مَفْعُولَةٌ ، وَالْحَصِيدُ : الشَّيْءُ الْمَحْصُودُ .

نَكَفَى : تَمَنَعُ . غَوَائِلُ : قَوَائِلُ وَمَهْلِكَاتُ ، وَاحِدُهَا غَائِلَةٌ ؛ وَغَالَتِ الْمَنِيَّةُ أَهْلَكَتِهَا . الزَّخْرَفَةُ : تَزْيِينُ الْبَاطِلِ ، وَأَصْلُهَا تَزْيِينُ الشَّيْءِ بِالزُّخْرَفِ وَهُوَ الذَّهَبُ . تَرَدٌ : تَقْصِدُ . مُورِدٌ مَأْتِمَةٌ : مَوْضِعٌ إِثْمٌ ، وَالْمُورِدُ أَصْلُهُ الْمَوْضِعُ يُشْرَبُ مِنْهُ الْمَاءُ . مَنْدَمَةٌ : نَدَمٌ . نَرَهَقُ : نَهَمُّهُ وَنَعَابٌ : وَالزَّهَقُ : الْعَيْبُ ، وَتَبَعَةٌ : خَطِيئَةٌ يَتَّبِعُهَا ضَرَّهَا بَعْدَ الْمَوْتِ . مَعْتَبَةٌ : سَخَطٌ ، وَهِيَ مِنَ الْعِتَابِ ، وَهُوَ تَقْبِيحُ الْقَوْلِ عَلَى جِهَةِ الْإِشْفَاقِ ، وَأَصْلُهُ مِنَ عَتَبْتُ الْأَدِيمَ ، أَيْ رَدَدْتَهُ إِلَى الدَّبَاغِ لِيَصْلِحَ ، وَمِنْهُ: إِنَّمَا يِعَاتِبُ الْأَدِيمُ ذُو الْبَشَرَةِ<sup>(١)</sup> . وَيُقَالُ: عَتَبَ عَلَيَّ فِي كَذَا عَتْبًا فَأَعْتَبْتُهُ ، أَيْ رَجَعْتَ إِلَى مَا يَرِيدُ وَأَرْضِيئْتَهُ . وَبَاءُ « تَبَعَةٌ » وَتَاءُ « مَعْتَبَةٌ » يَكْسِرَانِ وَيَفْتَحَانِ . نَلَجًا : نُحُوجٌ . مَعْدَرَةٌ : اعْتِدَارٌ . بَادِرَةٌ : سَقَطَةٌ وَزَلَّةٌ ، وَقَدْ بَدَرَتِ الْكَلِمَةُ وَالْفَعْلَةُ :

(١) المبدأى ١ : ٤٠ قال : « والمأتمية : المعاودة ، وبشرة الأديم : ظاهره النوى عليه

الشعر ، أى أن ما يعاد إلى الدباغ من الأديم ، ما صلعت بشرته » .

خرجت من غير أن يدبر موقعها ، وفلان تخشى بوادره ، أى فلتاته .

\* \* \*

اللَّهُمَّ فَحَقِّقْ لَنَا هَذِهِ الْمُنِيَّةَ ، وَأَنْلِنَا هَذِهِ الْبُغْيَةَ ، وَلَا تُضْحِنَا عَنْ ظِلِّكَ السَّابِغِ ، وَلَا تَجْعَلْنَا مُضْغَةً لِلْمَاضِغِ ؛ فَقَدْ مَدَدْنَا إِلَيْكَ يَدَ الْمَسْأَلَةِ ، وَبَخَعْنَا بِالِاسْتِكَانَةِ لَكَ وَالْمَسْكِنَةِ ، وَاسْتَنْزَلْنَا كَرَمَكَ الْجَمِّ ، وَفَضْلَكَ الَّذِي عَمَّ ، بِضِرَاعَةِ الطَّلَبِ ، وَبِضَاعَةِ الْأَمَلِ . ثُمَّ بِالْتَّوَسُّلِ بِمُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْبَشَرِ ، وَالشَّفِيعِ الْمَشْفَعِ فِي الْمَحْشَرِ ، الَّذِي خَتَمْتَ بِهِ النَّبِيِّينَ ، وَأَعْلَيْتَ دَرَجَتَهُ فِي عِلِّيِّينَ . وَوَصَفْتَهُ فِي كِتَابِكَ الْمُبِينِ ، فَقُلْتَ وَأَنْتَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ \* ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ \* مُطَاعٍ نَمَّ أَمِينٍ ﴾ <sup>(١)</sup> . اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الْهَادِينَ ، وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ شَادُوا الدِّينَ ، وَاجْعَلْنَا لِيَدَيْهِ وَهْدِيهِمْ مُتَّبِعِينَ ، وَانْفَعْنَا بِمَحَبَّتِهِ وَمَحَبَّتِهِمْ أَجْمَعِينَ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ .

\* \* \*

الْمُنِيَّةُ : مَا يُتَمَنَّى . وَالْبُغْيَةُ : مَا يُطَلَبُ . أَنْلِنَا : أَعْطَانَا . تُضْحِنَا : تَكْشِفُنَا . ظِلُّكَ السَّابِغُ : سِتْرُكَ الْمَدِيدِ ، وَأَصْلُ الظِّلِّ السِّتْرُ ، وَالْمَوْضِعُ الَّذِي لَا تَبْلُغُهُ الشَّمْسُ ، وَفِي الْحَدِيثِ « ضِحًا ظِلُّهُ » ، أَيْ عَدَمُ فَانْكَشَفَ مَوْضِعُهُ لِلشَّمْسِ . مُضْغَةٌ : لُقْمَةٌ ، وَكُلُّ مَا يَعْضَغُ لُقْمَةً ، وَالْمَاضِغُ هُنَا : الْعَائِبُ الْآكِلُ أَمْرَاضَ النَّاسِ ، وَجَعَلَ الْعَرِضَ حِينَ يَعْصِبُهُ مُضْغَةً لَهُ <sup>(٢)</sup> قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَمَّا عُرِجَ

بى مررتُ بأقوامٍ لهم أظفار من نحاسٍ يخمشون وجوههم وصدورهم ، فقالت : مَنْ هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : « هؤلاء الذين يأكلون لحومَ الناس ويقعون فى أعراضهم » . المسألة : الحاجة والفقر . نجعتنا : أقررنا ، ونجعت له بحقه أقرب به ، ونجعت نفسه : قتلها غيظا ، ومنه : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ ﴾ <sup>(١)</sup> فالتمدية بالبلاء غير المتعدية بنفسها . الاستكانة : الخضوع . والمسكنة : الفقر والذلة . استنزلتنا : طلبنا أن تُنزل علينا ، والاستنزال السؤال بتلطف . والجَم : الكثير . فضاك : إحسانك . عَمَّ : شَمَلَ . ضراعة : ذلة . البضاعة : المال يُتجر به . الأمل : الرجاء ؛ يقول إن تجارتنا التى نحصل بها منك إحسانك ، رجاؤنا توكلنا عليك . التوسُّل : التقرب . البشر : الخلق ، وهو فى الأصل جمع بشرة ، وهى ظاهرة الجلد ، وسَمُوا بشرا ، لظهور أبقارهم خلافا لغيرهم من الحيوان . الشفيع : الطالب لغيره . والمشفع : الذى أُعطيَ الشفاعة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « خُبِرَتْ بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمتى الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى ، أترونها للمؤمنين المُتقين ! لا ولكنها لذنبين المتلوثين الخطائين » <sup>(٢)</sup> .

الحشر : موضع اجتماع الناس يوم القيامة ، والحشر أيضا : الحشر وهو الأشبه باليوم . ختمت : جعلته خاتمهم ، أى آخرهم . درجته : منزلته . عليين : أعلى الجنة وكأنه جمع عليّة . المبين : المبين . رسول كريم ، قيل : هو جبريل ، وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم . مكين : رفيع المنزلة . ثم : معناه هناك ، قال الزجاجى : هى إشارة إلى ما كان متراميا من الأماكن ، والأشهر أن المراد به فى الآية جبريل ؛ ولذا رجع الحريرى آخره فأزال الآية من كتابه ، واستشهد بما اتفق مشاهير المفسرين على أن المراد به نبينا صلى الله عليه وسلم ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، وليس رجوعه عن القول



(٢) نقله فى الجامع الصغير ١ : ١٨ .

(١) الكهف ٦ .

(٣) سورة الأنبياء ١٠٧ .

الغريب ، بل هو حسن ، إذ كان الرجوع عن الخطأ إلى الصواب واجباً ، إلا أن  
الثابت عند ابن جهور ﴿إنه لقول رسول كريم﴾ ؛ قال ابن عباس رضى الله  
عنهما : هو جبريل وهو الرسول لحمد بالقرآن . ذِي قُوَّةٍ ؛ لأنه قلع بأحد جناحيه  
أربع مدائن لقوم لوط ؛ وهى سدُوم ودامورا وصابورا وعمُورا ؛ فى كل  
مدينة مائة ألف إنسان سوى ما فيها من الدوابّ والأنعام . آله ، أى أهله وأصله  
«أأل» فأبدلت الهمزة ألفاً ، وأكثر ما تضاف إلى الظاهر ، وقد سُمِعَ إضافتها إلى  
المضمر فى الشعر والكلام الفصيح ، خلافاً لأبى جعفر النحاس وأبى بكر  
الزُّبَيْدَى ، فإنهما منعنا من إضافتها إلى المضمر ، وأكثرهم على أن همزتها مبدلة من  
هاء «أهل» وصوابه أنها أصل فى بابها ، من آل يثول إذا رجع لأنهم يرجعون إليه  
ويُرجع إليهم . الهادين : المرشدين إلى طريق الخير ، وقد هديته الطريق ، إذا  
أرشدته . شادوا : رفعوا وبنوا . هديه وهديهم : طريقته وطريقتهم ، وقال النبي  
صلى الله عليه وسلم «الله الله فى أصحابى ، لا تتخذوهم غرَضاً بعدى ، فمن أحبهم  
فبحبى أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذانى ، ومن  
آذانى فقد آذى الله ، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه » . جدير : حقيق .

\*\*\*

وَبَعْدُ ، فَإِنَّهُ قَدْ جَرَى بِيَعْضِ أُنْدِيَةِ الْأَدَبِ الَّذِي رَكَدَتْ فِي  
هَذَا الْعَصْرِ رِيحُهُ ، وَخَبَّتْ مِمَّا يَبْجُهُ ، ذِكْرُ الْمَقَامَاتِ الَّتِي ابْتَدَعَهَا  
بَدِيعُ الزَّمَانِ ، وَعَلَامَةُ هَمْدَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى . وَعَزَا إِلَى أَبِي الْفَتْحِ  
«الْإِسْكََنْدَرِيَّ نَشَأَتْهَا ، وَإِلَى عَيْسَى بْنِ هِشَامٍ رِوَايَتَهَا ، وَكِلَاهُمَا مَجْهُولٌ  
لَا يُعْرَفُ ، وَنَكِيرَةٌ لَا تَتَعَرَّفُ .

\*\*\*

أندية : مجالس واحدها ندى ، والندى والنادى والمنتدى : مجلس القوم

للحديث ، وقيل هو من الندى وهو الكرم ، لأنهم يُقصدون فيه فيعطون .  
 وقيل : هو من النداء الذى هو الصوت لأنه ينادى فيه بعضهم بعضاً ليجتمعوا .  
 وقيل : هو من الندى وهو العرق لأن الداخل فيه يحتشم فيعرق . والأدب : معرفة  
 الأخبار والأشعار ، وفلان أديب ، إذا كان متفناً مشاركاً . ركبت : سكنت ،  
 والمقامات : المجالس ، واحداها مقامة ، والحديث يُجتمع له ويجلس لاستماعه يسمى مقامة  
 ومجلساً ، لأن المستمعين للحديث ما بين قائم وجالس ، ولأن الحديث يقوم ببعضه  
 تارةً ، ويجلس ببعضه أخرى ؛ قال الأعمى : المقامة المجلس يقوم فيه الخطيب يحض  
 على فعل الخير .

### [ بديع الزمان الهمداني ]

ذكر البديع أبو منصور الثعالبي في يتيمته ، فقال : « بديع الزمان هو أبو الفضل  
 أحمد بن الحسين الهمداني ، مفخر همدان ، ونادرة الفلك وبكر عطار ، وفريد  
 الدهر ، وغرة العصر ؛ وهن لم يُلف نظيره في ذكاء التريجة وسرعة الخاطر  
 وشرف الطبع وصفاء الذهن وقوة النفس ، ولم يدرك قرينه في ظرف النثر ومآجه  
 وغرر النظم ونكته ، ولم يُرو أن أحداً بلغ مبلغه من لب الأدب وسرّه ، أو جاء  
 بمثل إعجازه وسحره ، فإنه كان صاحب عجائب ، وبدائع وغرائب ، فمنها  
 أنه كان يُشدد القصيدة لم يسمعها قط ، وهى أكثر من خمسين بيتاً ، فيحفظها  
 كلها ، ويوردها إلى آخرها ، لا ينخرم حرف منها . وينظر في الأربع والخمس الأوراق  
 من كتاب لم يعرفه ولم يره نظرة واحدة خفيفة ، ثم يعيدها عن ظهر قلبه هذا  
 ويسردها سرداً . وكان يُقترح عليه عمل قصيدة أو إنشاء رسالة في معنى غريب  
 وباب بديع ، فيفرغ منها في الوقت والساعة والجواب عما فيها ، وكان ربما يكتب  
 الكتاب المقترح عليه فيبتدىء بأخر سطره ، ثم هلم جراً إلى الأول ، ويخرجه  
 كأحسن شيء وأماحه ، ويوشح القصيدة الفريدة من قبله بالرسالة الشريفة من  
 إنشائه ، فيقرأ من النظم النثر ، ومن النثر النظم ، ويعطى التوافى الكثيرة ، فيصل

بها الأبيات الرشيقة . ويُقترح عليه كلّ عروض من النظم والنثر فيرتجله في أسرع من الطرف ، على ريق لا يباعه ، و نفس لا يقطعها ؛ وكلامه كله عفو الساعة وفيض اليد ومسارقة القلم ومجاراة الخاطر . وكان مع هذا مقبول الصورة . خفيف الروح ، حسن العشرة ناصع الظرف ، عظيم الخلق ، شريف النفس ، كريم العهد ، خالص الود ، حلوا الصداقة ، مرّ العداوة . فارق همدان سنة ثمانين وثلاثمائة وهو مقتباً الشيبية ، غرض الحدّائة . وقد درس على أبي الحسين بن فارس ، وأخذ عنه جميع عنده واستنفذ علمه <sup>(١)</sup> . وورد حضرة صاحب أبي القاسم بن عبّاد ، فتزود من ثمارها ، وحسن آثارها . وورد نيسابور في سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة <sup>(٢)</sup> ، فنشر بها بزرّه ، وأظهر طرزّه ، وأملى أربعائة مقامة نحبا أبا الفتح الإسكندريّ في الكدّية وغيرها ، وضمّها ماتشهي الأفس ؛ من لفظ أنيق قريب المأخذ بعيد المرام ، وسجع رشيق المطاع والمقطع كسجع الحمام . وجدّ يروق فيملك القلوب ، وهزل يشوق فيسحر العقول ... <sup>(٣)</sup> ثم ألقى عصاه بهرّة ، فعاش فيها عيشة راضية وحين بلغ أشده ، وأرّب على أربعين سنة ؛ ناداه الله فلباه ، وفارق دنياه في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة ؛ فقامت نوادب الأدب ، واثلم حدّ القلم ، وبكاه الفضائل مع الأفاضل ، وورثاه الأكارم مع المكارم ؛ على أنه مامات من لم يمت ذكره ، ولقد خلد من بقي على الأيام نظامه ونثره ؛ والله عزّ وجل يتولاه بعفوه وغفرانه ، ويحييه بروحه وريحانه <sup>(٤)</sup> .

(١) القيمة : « واستنفذ علمه ، واستنزف بصره » .

(٢) في ط : « وولى » ، تحريف ، والعبارة في القيمة : « ثم قدم جرجان ، وأقام بها مدة على مداخلة الإسماعيلية والتميش في أكتافهم ، والاقتباس من أنوارهم ، واختص بالدهخدا أبي سعد محمد بن منصور أيده الله تعالى ، ونفقت بضائه لديه ، وتوفّر حظه من عادته المعروفة في إسداء المعروف ، والإنفضال على الأفاضل . ولما استقرت عزيمته على قصد نيسابور أعانه على حركته ، وأزاح عنه في سفرته فوافاه في سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة . . . » .

(٣) حذف المؤلف هنا من كلام التعالي ما يزيد عن صفحة .

(٤) قيمة الدهر ٤ : ٢٤٠ - ٢٤٢ .

وذكر الحصري رحمه الله في كتاب الزهر أن الذي سبب للبديع رحمه الله تأليف مقاماته ، هو أنه رأى أبا بكر بن الحسين بن دريد قد أغرب بأربعين حديثاً ، ذكر أنه استنبطها من ينابيع صدره ، وانتخبها من معادن فكره ، على طبع العرب الجاهلية ، بألفاظ بعيدة حوشية ، فعارضه البديع بأربعائة مقامة ، لطيفة الأغراض والمقاصد ، بديغة المصادر والموارد<sup>(١)</sup> . انتهى كلامه .

والذي جاء بها ، فيه قلة الإمتاع للسامع من حديثها ، وفيها مقامات لا تبلغ عشرة أسطر ، فجاءت مقامات الحريري أحفل ، وأجزل وأكمل ؛ فلذلك فضلت البديعية . وقد صرح علماء الأدب في كتبهم بتفضيل البديع على نظرائه من أهل زمانه ، ولقبه بالبديع يدل على قدره الرفيع ، قال :

وَقَلَّمَا أَبْصَرْتُ عَيْنَاكَ مِنْ رَجُلٍ إِلَّا وَمَعْنَاهُ إِنْ فَتَشْتُ فِي لِقَابِهِ

وسئل بعض علماء الأدب من أهل عصرنا عن الحريري والبديع ، فقال : لم يبلغ الحريري أن يسمى « بديع يوم » ؛ فكيف يقارن بديع زمان !  
وجرى ذكر مقاماته في مجلس بعض أشياخنا ، وكان حافظاً أديباً ، فقال :  
مقامات البديع يحكى أنها ارتجال ، وأن البديع كان يقول لأصحابه في آخر مجلسه : اقترحوا غرضاً نبني عليه مقامة ، فيقترحون ما شاءوا ، فيملي عليهم المقامة ارتجالاً في الغرض الذي اقترحوه ؛ وهذا أقوى دليل إن صح على فضل البديع .  
قوله علامة : أى كثير العلم ، وهى بذية للمبالغة .

### [ ذكر همدان ]

وهمدان ، بفتح الهم ونقط الذال : بلد بخراسان . وقيل : همدان من كور الجبل . وبلد همدان واسع جليل القدر كثير الأقاليم والكور ، افتتح سنة ثلاث وعشرين ، ويشرب أهلها من عيون وأودية . وقال اليعقوبى : من أراد السير من الدينور إلى همدان سار متنزهاً إلى موضع ، يقال له : أسد آباز مرحل -

هو من أسد آباز إلى مدينة همدان مرحلتان - وهي كثيرة البرد . وقال فيها ابن خالويه - وهو همداني ، واستوطن حلب عند بني حمدان :

إذا همدانُ اعتَرَّها البردُ وانقضى  
برغمك أيلولُ وأنت مقيمُ  
فعميناك عَمَشَاوانِ وَأَنْفَكَ سَائِلُ  
ووجهك مسودَّ البياض بهيمُ  
بلادٌ - إذا ما الصيفُ أُقبلَ - جنةٌ  
ولكنَّها عند الشتاء جحيمُ

ولبعضهم :

همدَانُ متلِفَةُ النفوسِ بِبرِدِهَا      والزَّمهريرُ ، وحرَّها مأمونُ<sup>(١)</sup>  
غلب الشتاء مصيفها وخريفها      فكأنما تموزها كأنونُ

وكل الرواة يروونها « همدان » بفتح الميم ونقط الذال ، إلا ابن اللبابة فإنه رأيت في شرحه : همدان بسكون الميم ودال غير معجمة ، وهي قبيلة يمانية ، قال فيها علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه :

ولو كنت بواباً على باب جنَّةٍ      لقات لهمدان ادخلوا بسلام<sup>(٢)</sup>

والرواية الأولى أثبت . قوله : « عزا » أبي نسب يقال : عزيته عزياً ، وعزوته عزواً : نسبه ؛ واعتزى إلى بني فلان : انتسب إليهم ، وأبو الفتح في البديعية بمنزلة أبي زيد في الحريرية ، وعيسى بمنزلة الحارث . نشأتها : صنعتها . روايتها : إسناد أحاديثها . والتكرة التي لا تتعرف ، هي في غير الأسماء .

\*\*\*

فأشار من إشارته حُكم ، وطاعته غُتم ، إلى أن أنشي  
مقامات أتلو فيها تلو البديع ، وإن لم يدرك الظالم شأوَ  
الضليع ، فذا كرتُه بما قيل فيمن ألف بين كلمتين ، ونظم

(١) معجم البلدان ٨ : ٤٧٦ ، ونسبها إلى كاتب بكر .

(٢) من مقطوعة له ، أوردها ابن رشيق في الصمدة ١ : ٣٤

بَيْتًا أَوْ بَيْنَيْنِ ، وَاسْتَقَلْتُ مِنْ هَذَا الْمَقَامِ الَّذِي فِيهِ يَحَارُ الْفَهْمُ ،  
وَيَفْرُطُ الْوَهْمُ ، وَيُسْبِرُ غَوْرَ الْعَقْلِ ، وَتَبِينُ قِيَمَةُ الْمَرْءِ فِي الْفَضْلِ ،  
وَيَضْطَرُّ صَاحِبُهُ إِلَى أَنْ يَكُونَ كَخَاطِبِ لَيْلٍ ، أَوْ جَابِ رَجُلٍ  
وَخَيْلٍ ، وَقَلَمًا سَلِمَ مِكْثَارُهُ ، أَوْ أَقِيلَ لَهُ عِثَارُهُ .

\*\*\*

### [ السبب في إنشاء الحريري للمقامات ]

غُثْمٌ : غنيمة . وحكى الفنجديهي في شرحه للمقامات : أن الذي أشار عليه بها هو شرف الدين أنوشروان بن خالد وزير الخليفة ، أمره بإنشاء المقامات وحكم عليه بها . وقيل : أمره بها صاحب البصرة وواليتها . وقال : سمعت الشيخ الثقة أبا بكر عبد الله بن محمد بن أحمد بن الثَّقُورِ البزَّارِ ببغداد يقول : سمعت الشيخ الرئيس أبا محمد الحريري يقول : أبو زيد السَّروجيَّ كان شجاعاً بايعاً ، ومكدياً فصيحاً ، ورد علينا البصرة ، فوقف يوماً في مسجد بني حرام يتكلم ، ويسأل شيئاً ، وكان بعضُ الولاة حاضراً ، والمسجد غاصُّ بالفضلاء ، فأعجبهم بفساحته ، وحسن صناعته وملاحظته ، وذكر أسرار روم ابنته ، كما ذكرنا في المقامة الحرامية وهي الثامنة والأربعون ، قال : فاجتمع عندي عشية ذلك اليوم جماعة من معارف فضلاء البصرة وعلمائها ، فحكيت لهم ما شاهدتُ من ذلك السائل ، وسمعت من لطافة عبارته في تحصيل مُرادِهِ ، وطرافة إشارته في تسهيل إirاده ؛ فحكى كل واحد من جلسائي أنه شاهد من هذا السائل في مسجده مثل ما شاهدت ، وأنه سمع منه في معنى آخر فصلاً أحسن مما سمعت . وكان يفتري كل مسجد زبياً وشكلاً ، ويظهر في فنون احتياله ، فمجبوا من جريانه في ميدانه ، وافتتاناه في إحسانه ؛ قال الحريري : فابتدأت في إنشاء المقامة الحرامية تلك الليلة ، حاذياً لِدَوِّهِ ، فلما فرغتُ منها أقرأتها جماعة من الأعيان ، فاستحسنوها غاية الاستحسان ،